الخطبة التاسعة والخمسون
العبادات تنقطع بموت صاحبها
أما فعل الخيرات فإنه باقٍ بعد موت صاحبه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُه، أما بعد:

إن من فضل الله سبحانه وتعالى علينا أن بيَّن أمر ديننا وأمر ما ينفعنا، وبيَّن لنا المكاسب العظيمة من الأعمال، وبيَّن لنا المفاضلة بينها،وكان هديُ النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم شارحًا و مفصلاً لأحسن الأعمال وأعلاها مرتبة وأكثرها نفعًا وجزاءً، وقد تعددت أعمال الخير وكثرت وذلك لأن الإنسان يتقلب بين الملل والكسل، والجد والنشاط، فعند النشاط وعلو الهمّة يقوم الليل ويقرأ القرآن، وعند فتور الهمّة والكسل يجلس مكانه يسبح ربه ويذكره بقلبه، وكلٌّ خير، ولكن الخير يتفاوت في الدرجة والثواب والمنزلة.وحضَّ الله سبحانه وتعالى على فعل الخير بشكل عام فقال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 2/ 110]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: 3/ 115] وقد فصّل الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: 22/ 77].

قال بعض أهل العلم -والله أعلم-: إن الله بدأ بالخاص ثم عمم، أي الركوع والسجود ثم العبادة ثم فعل الخيرات. الركوع والسجود فعل مخصص، والعبادة وفعل الخيرات أمر عام غير محدد. وقال آخرون -والله أعلم-: إنه تعالى بدأ بالأدنى ثم بالأعلى؛ الركوع أدنى من السجود، والسجود أدنى من العبادة،

والعبادة أدنى من فعل الخير ولو أن فعل الخير من العبادة، لكن فعل الخير ولو أنه من العبادة الشخصية الفردية إلا أنه أعلى درجاتها، والبرهان على هذا من وجوه:

1. عن أبي أمامة رضي الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت: مُرني بأمر أنقطع به، فقال ﷺ: « اعلم أنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك خطيئة» حم - السلسلة الصحيحة (3/ 475).

فهذا فضل الصلاة والسجود، وهو خير بلا شك ولكن دعنا نقارنه بحديث: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بالسبابة والوسطى وفرّق بينهما قليلاً» رواه البخاري (5304) - حم - ت - د - حب. فأيهما أعظم نفعاً؟ ولكن لا بد من الصِّلات الفرضية، وقيل: إن حديث أبي أمامة في الحض على النوافل، ويبقى السؤال: النافلة أعظم أم كفالة اليتيم؟ والجواب واضح: كفالة اليتيم أعظم بدلالة الحديث المروي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رَجَعَ كيوم ولدته أمه» البخاري (1521) - مسلم (1350) وفي رواية الترمذي قال: «غفر له ما تقدم من ذنبه». (الرفث): هو الفحش والجماع، و(**الفسق**): هوالسيئة أوالمعصية، (رجع كيوم ولدته أمه) أي: بغير ذنب والحمد لله. ونقارن الآن بين حج النافلة وفعل الخير كما في قوله عليه الصلاة والسلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلا الطيب- فإن الله عز وجل يقبلها بيمينه ثم يُربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فُلُوَّه حتى تكون مثل الجبل» البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه جاء رجل بناقة مخطومة «أي: على رقبتها زمام أو حبل من ليف أو كتان» فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لك بها يوم القيامة سبع مئة ناقة كلها مخطومة» مسلم - النسائي - مسند الإمام أحمد.

فأيهما أفضل يا عبد الله؟ حج النافلة؟ أم إطعام الأيتام والأرامل؟ وفي كلٍّ خير.

2. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، ولا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» ت- الحاكم والبخاري في التاريخ. لو قارنا هذا الحديث بقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: 2/ 261].

يا أحبة في الله، العبادة أمر جيد ولازم ولا بد منه، ولا أريد أحداً أن يفهم مني خطأ، أو أن ينقل عني خطأ فأنا بريء من الخطأ، وبريء مما لا يرضاه الله ورسوله، ولكن ما أفعله هو المفاضلة في كسب الأجر، وهذا معروف لدى علمائنا ومشايخنا، وقد قالوا كلامًا يكتب بماء الذهب لو أمكن، قالوا: إن العبادة تنفع وترفع صاحبها وهي في سجل حسناته في حياته، ولكن الخيرات التي يفعلها وهي كثيرة، والأعمال الصالحة فهي تفيده وتنفعه في حياته وبعد مماته، وهي في سجلاته وسجلات غيره، فأيهما أفضل: تصلي نافلة تستفيد أنت، أما أنك تفتح مدرسة تستفيد أنت وآلاف الناس، ويدخل في سجلك آلاف الناس في حياتك وبعد مماتك، فالقاعدة تقول: **العبادات تنقطع بموت صاحبها، أما الخيرات فإنها تبقى حية بعد موت صاحبها ويجري عليه خيرها في قبره**. ودليل ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن ما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علمًا نشره، وولداً صالحًا تركه، ومصحفًا ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه بعد مماته» ابن ماجه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته، من علم علمًا، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته» رواه البزار.

وسأل أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أيُّ العمل أفضل؟ فقال ﷺ: «أفضل العمل إيمان بالله، وجهاد في سبيل الله. قيل: فأي الرقاب أفضل؟ قال ﷺ: أنفَسُها عند أهلها وأغلاها ثمنًا، قيل: فإن لم أجد؟ قال: تعين صانعًا أو تصنع لأخرق، قال: فإن لم أستطع، قال ﷺ: كُفَّ أذاك عن الناس فإنها صدقة تصدق بها عن نفسك» البخاري ومسلم - حم - ن - حب.

وقد يقول قائل: يا أخي يبدو أن الأغنياء المتصدقون هم الفائزون وهم السباقون، لأن كفالة اليتيم والأرملة تحتاج إلى مال، وبناء المسجد يحتاج إلى مال، وحفر بئر وغرس النخل إنما هو مال، فما بال الفقراء وماذا يفعلون؟! نعم وألف نعم، فعل الخيرات أغلبه مال وصدقة وهذا لا شك فيه، ولكن ألم يقل رسول الله ﷺ: «من علّم علمًا»؟ أليس للفقير لسان يعلم غيره الخير، أو يعلمه العلم؟ قد يقول البعض: لكن الفقير جاهل فكيف يعلّم؟ أقول: أليس له لسان ينصح، أو يَحضُّ على الخير؟ ينصح الأطفال والشبان يحضّهم على الصلاة في المسجد، يحضّهم على عدم الغيبة، والنميمة، والكذب، والشتيمة، يعلمهم احترام الأعراض، واحترام الممتلكات، وإذا كان لا يستطيع أيّـًا من هذا فليعمل بنصيحة رسول الله حين قال لأبي ذر: «كف أذاك عن الناس فإنها صدقة تصدق بها عن نفسك». بينه وبين نفسه يجب عليه أن يتمنى الخير وفعله للناس جميعًا، ولو كان لا يستطيع فعل شيء فالتمني في الخير هو خير، والدليل هو قوله ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن: ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزوجل عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر، وأحدثكم حديثًا فاحفظوه قال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالاً وعلمًا، فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا، ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علمًا، فهو يتخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا،

فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء» حم ت عن أبي كبشة الأنماري.

وقوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: 3/ 133-134]، نعم قال تعالى: الذين ينفقون في السراء والضراء، أصحاب المال، أما الكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، ليس بالضرورة أن يكونوا أصحاب أموال؟ الفقير يستطيع ذلك. وهذا من كرم الله وفضله.

* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن؛ كسوت عورته، أو أشبعت جوعته، أو قضيت له حاجة» طس - صحيح الترغيب والترهيب (4003)، وعن عبد الله بن عمر أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ فقال ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يُمْضِيَه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له، ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام». صحيح الترغيب والترهيب (4007)، قال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ [البقرة: 2/ 148]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾ [المائدة: 5/ 48].

﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ جاءت مرتين في القرآن الكريم - [البقرة: 2/ 148]، [المائدة: 5/ 48] - أمرٌ من الله تعالى بفعل الخيرات والسباق عليها وإليها. وباب الخيرات

كبير ويضم مالاً يحصيه إلا الله تعالى، فزيارة المريض، والتحية الجميلة، والتبسم بوجه أخيك، والكلام المؤنس الجميل، والنصيحة النافعة الخالصة لله تعالى الحق التي لا يشوبها مصلحة أو منفعة شخصية، والمواساة في المصائب، وبذل المجهود في الإعانة، وحض الناس على فعل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكف الأذى، وكف الغيبة والنميمة، والنية الصالحة والأمنية الصالحة لجميع المسلمين، والدعاء لهم، ونصرتهم بالمال واللسان والدعاء، والولاء والبراء لله ولرسوله وللمسلمين، كل هذا من أبواب الخيرات التي يستطيعها كل إنسان غني أو فقير، ضعيف أو قوي، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: 3/ 104]، وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: 4/ 114]، قال المفسرون في قوله: أجراً عظيماً: فيه إبهام، والإبهام في القرآن الكريم للمبالغة والعظمة والزيادة.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر» ابن ماجه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، والصائم لا يفطر، والقائم لا يفتر» أخرجه البخاري في صحيحه، وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» أخرجه مسلم.

وعن أبي جرير الهجيمي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إنّا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئاً ينفعنا الله تبارك وتعالى به، فقال ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تكلم أخاك ووجهك إليه منبسط، وإياك وتسبيل الإزار، فإنها من الخيلاء، و الخيلاء لا يحبها الله عز وجل، وإن امرؤ سبّك بما يعلم فيك، فلا تسبّه بما

تعلم فيه، فإن أجره لك ووباله على من قال» حم - وصححه شعيب الأرناؤوط رحمه الله تعالى. قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد: 90/ 11-16]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: 99/ 7].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: 2/ 286]